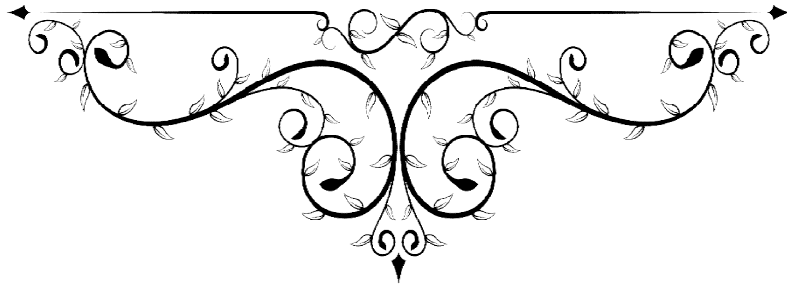




الفصل الثالث



تعقد الأزمة السورية وتضائل إمكانيات الحل:
التدخل العسكري الروسي كمنفذ أخير.

تمهيد

مع تأزم الوضع في سوريا والابتعاد التدريجي عن إيجاد تسوية سياسية للأزمة ومع زيادة التهديدات على المصالح الروسية في المنطقة رأت روسيا أنه من الواجب التدخل في الأزمة بشكل مباشر وفوري من أجل حسم المعركة بصفة نهائية لمصلحة النظام السوري هذا ما زاد من تفاقم الوضع في سوريا وزاد من حدة التداعيات في المنطقة وكذا حجم الانفاق العسكري.

المبحث الأول: موقف روسيا من الأزمة والاتفاق العسكري الروسي السوري

لقد جاء الموقف الروسي مغايراً عن مواقفها السابقة من الثورات العربية، وذلك للأولوية التي توليها روسيا لسوريا باعتبارها حليف استراتيجي قديم، ولذلك عززت من موقفها بتدخل عسكري مباشر زاد من حجم تطلعاتها وانفاقها.

المطلب الأول: الموقف الروسي من الأزمة السورية

بدأت الأزمة السورية مرتبطة بسيرورة الربيع العربي إلا أنها سرعان ما تحولت إلى صراع نفوذ بين الدول الإقليمية الكبرى، ثم أخذت ترتبط بمستوى أعلى من التنافس بين القوى العظمى في النظام الدولي، وتحديدًا روسيا والصين من جهة والولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي من جهة أخرى.

لقد كانت الحالة السورية خروجاً من الخط العام للسياسة الروسية تجاه الثورات العربية، إذ كانت موسكو أسرع استجابة وحسماً في مواقفها تجاهها، فعقب اندلاع التظاهرات السلمية ضد الرئيس بشار الأسد ونظامه، اتخذت موسكو في البداية موقفاً وسطاً بين النظام السوري والمعارضة، منطلقة من حق الشعب السوري في التغيير، حيث حذر ديمتري ميدفيديف رئيس روسيا آنذاك، القيادة السورية ورأى بأنه من الضروري بدء حوار مع المعارضة، والمباشرة في الإصلاحات وإلا ستكون العواقب وخيمة بل حذر بأن موسكو قد تغير موقفها تجاه دمشق في حال فشل الرئيس إقامة حوار مع المعارضة¹.

وقد صرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عدة مرات: أن روسيا لا تربطها علاقة خاصة مع الرئيس بشار الأسد، وهي تعتبر مسألة تغيير النظام موضوع داخلي يقرره الشعب السوري، بالمقابل وعلى أرض الواقع كانت السياسة الروسية تعمل على تدعيم ركائز النظام في سوريا،

¹ - نجاه مدوخ، السياسة الخارجية في الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة - دراسة حالة سوريا-2010-2014، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2014-2015، ص 151.

ومده بالأسلحة وتحشد التأييد الدولي له في المنتديات الدولية، خصوصاً في الأمم المتحدة، وفي لجنة حقوق الإنسان، وكانت تعرقل أي محاولة لإسقاطه بالقوة العسكرية، وقد أعلنت عن موقفها المعارض للتدخل العسكري في سوريا، سواء من قبل مجلس الأمن، أو من قبل الجامعة العربية وقد ازداد موقف موسكو تشدداً مع الوقت¹، برفض روسيا الدعوة التي أطلقها كل من الرئيس الأمريكي باراك أوباما وكاترين آشتون المفوضة العليا لسياسة الخارجية والأمن في الاتحاد الأوروبي، إلى الرئيس السوري بشار الأسد للتنحي، واعتبر ديمتري روجوزين، مندوب روسيا لدى الحلف الأطلسي، أنّ الحلف يتخذ سياسة غير متوازنة وأحادية الصيغة تجاه سوريا وأنّه يغض النظر تماماً عن الضحايا التي تخسرهما القيادة السورية في صفوف الأمن خلال مكافحتهم للعنف².

عملت روسيا منذ بداية الأزمة السورية على تأكيد موقفها في منع تدخل خارجي عسكري في سوريا أو فرض مزيداً من العقوبات عليها، حيث تخشى أن يكون ذلك غطاء لفرض مزيد من الهيمنة الأمريكية في المنطقة، فإذا كانت قد عارضت تدخل الناتو في ليبيا، فإنها ترفض بشدة تكرار التجربة في سوريا، لأنّ ذلك سيّيح موطئ قدم أمريكية في قلب سوريا بعد الإطاحة بالنظام كما حدث في العراق³.

وفي سياق الموقف الروسي المعارض لأي هجوم على سوريا، سعت روسيا دبلوماسياً إلى تجنب سوريا ضربة عسكرية كانت وشيكة عليها، حيث التقى وزير خارجية الروسي سرغي لافروف مع نظيره الأمريكي جون كيري وتوصلا الطرفان إلى اتفاق على مشروع قرار لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية والتخلص منها في سوريا⁴.

بعد أن قدمت روسيا كل أنواع الدعم السياسي والدبلوماسي والعسكري للنظام السوري على مدى خمس سنوات، قررت أن تخطو خطوة إضافية وتتدخل مباشرة في الأزمة

¹ - نورهان الشيخ، "الموقف الروسي من الثورات العربية... رؤية تحليلية، الأمة واقع الإصلاح ومآلات التغيير"، مجلة البيان، الرياض، الإصدار التاسع، 2012، ص 280-281.

² - نفس المرجع، ص 281-282.

³ - عبد الرزاق بوزيدي، مرجع سابق، ص 130-131.

⁴ - نفس المرجع، ص 131-132.

السورية، ابتداء من سبتمبر 2015 حيث بدأت السفن الإمداد العسكري الروسية وطائرات العملاقة من طراز اليوشنو أنثونوف تصل إلى الموانئ والمطارات السورية حاملة الذخائر والتجهيزات والمعدات وغيرها من المستلزمات لإنشاء قاعدة عسكرية روسية كبيرة وتموينها في مطار حميميم الذي يبعد نحو 20 كلم من اللاذقية، وباشرت روسيا في 30 من سبتمبر 2015م تدخلها العسكري المباشر في الأزمة السورية¹.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ التحرك الروسي تجاه سورية لا ينفصل عن حركة متصلة بالصراع الروسي الأمريكي الغربي في أوكرانيا وشبه جزيرة القرم وشرق أوروبا، ومن ثم يبدو اتساع التحرك الروسي تجاه سوريا جزءا من المعركة الحقيقية بين هذين الطرفين².

المطلب الثاني: الاتفاق العسكري الروسي في سوريا

كشفت صحيفة "بوست الأمريكية" نقلا عن موقع حكومي روسي بنود الاتفاق الروسي والسوري والذي يفتح الباب للجنود وأسلحة القوات البحرية والجوية الروسية ويحصن قوات الاتحاد الروسي من أي متابعة قضائية سورية أو من أطراف أخرى، وقد وقعه سيرغي شويغرو مع نظيره السوري فهد جاسم الفريج ومن خلال هذا الاتفاق دخلت روسيا في الحرب في سوريا عبر ارسال طائراتها وصواريخها المتطورة³. وأفاد ألكس كوكشاروف المحلل البارز في مؤسسة البحوث الدولية أي إس إس ومركزها العاصمة البريطانية لندن، إن تكلفة العمليات الروسية في سوريا للفترة بين 30 سبتمبر و20 أكتوبر 2015، تراوحت بين 80 و115 مليون دولار أمريكي. كما تبلغ النفقات اللوجيستية اليومية لقراءة 1500 عسكري روسي في سوريا، 440 ألف دولار، وتصل التكلفة اليومية للوحدات الموجودة في قاعدة طرطوس على البحر المتوسط في سوريا، والقاعدة في بحر قزوين قرابة 200 ألف دولار⁴.

¹ - التدخل العسكري في سوريا، الدوافع الأهداف والتداعيات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 24 أكتوبر 2015م، ص 1.

² - مازن جبور، الحراك الروسي في الأزمة السورية، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، دمشق، 13/01/2016، ص 7.

³ - أسماء بلجيم، الدور الأمني لروسيا في سوريا بعد ثورات الربيع العربي، مذكرة ماستر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2015-2016، ص 43.

⁴ - تعرف على التكلفة اليومية للعدوان الروسي على سوريا، أورينت نت، 10/11/2015، الاطلاع: 16/4/2017. تعرف على-التكلفة-اليومية-للعنوان-الروسي-على-سوريا/93939/0/ar/news-show/http://arient-news.net/

نقلت صحيفة "أر بي كا" عن مصادر عسكرية روسية وأخرى في مجال البحوث أن الزيادة الأساسية في الاتفاق سببه توسيع حجم العلميات، ولتوضيح فإنّ طلعات الطيران الروسي تنقسم إلى ثلاث مستويات، 80 في المائة منها تعتبر قصيرة المدى وتستخدم فيها طائرات "سوخوي" ولا تزيد مدة الطلعة على 40 دقيقة بينما تنقسم الـ 20 في المائة الباقية من الطلعات بين الطيران المتوسط (سوخوي 35) ومدة الطلعة ساعة ونصف، وقاذفات توبوليف الاستراتيجية التي تنطلق من مواقع في روسيا وتعود إليها بعد إنجاز مهمتها، وأفاد تقويم لمعهد البحوث العسكرية بأنّ الطلعة القصيرة والمتوسطة المدى تصل قيمتها إلى 3.5 مليون روبل، في مقابل 5.5 مليون روبل لكل طلعة توبوليف¹.

لقد زاد الانفاق الروسي 21% في 2015 ليصل إلى 54.9 مليار دولار مما يعني أجهاد للخرينة، لتكون بذلك خامس أكبر ميزانية عسكرية في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية والصين وبريطانيا وفرنسا، كما تشكل 4.3% من الناتج المحلي الإجمالي وتؤكد التقارير أنّ اجمالي الانفاق العالمي على الدفاع وصل إلى 1.68 ترليون دولار في 2016².

¹ - رائد جبر، الأرقام المخيفة في الانفاق العسكري الروسي، صحيفة الحياة، 15 أوت 2016، تاريخ الاطلاع: 2017/04/16

الأرقام-المخيفة-في-الانفاق-العسكري-الروسي/16877809/ www.alhayat.com/articles/

² - "هذه هي تكلفة الانفاق العسكري الروسي وهو الأعلى على الإطلاق"، صحيفة الديار، لبنان، العدد 9594، 17 ديسمبر 2015، ص 11.

المبحث الثاني: دوافع التدخل العسكري الروسي في سوريا

لم يأتي التدخل العسكري الروسي في سوريا اعتباطيا ولكنه جاء وفقا لأهداف تم رسمها مسبقا من طرف القيادة الروسية تماشيا مع المتغيرات الدولية وكذا الاستراتيجية

المطلب الأول: الدوافع السياسية

تعود الصداقة الروسية السورية إلى عهد بريجنيف والأسد الأب، في الحقيقة، فالمصالح ليست اقتصادية أو عسكرية فقط، وليس شخص بشار الأسد هو المهم، وإن تم التخلي عنه فالمفترض الإبقاء على النظام وأن تكون روسيا فاعلا في الاتفاق السياسي¹.

كما يهدف التدخل العسكري في سوريا إلى الرغبة في جذب ثقة الدول الإقليمية في القدرات الروسية، حيث ترغب روسيا في بناء تحالفات واسعة بعد غياب طويل في منطقة الشرق الأوسط، حيث أنّ إبرام الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة (5+1) يمكن لروسيا المضي قدما في التنسيق الاستراتيجي والعسكري المفتوح مع إيران وهو ما توضحه زيارة الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" إلى طهران في 23 نوفمبر 2015، الذي تزامن مع تصريح السفير الإيراني لدى روسيا "معدي صانعي" بأنه بدأت إجراءات تزويد إيران بنظام الصواريخ (إس-300) المضاد للصواريخ، وبدأت عملية تسليم هذا النظام، وكان البلدان قد وقعا عقدا في 9 نوفمبر لتزويد طهران بنظام الصواريخ المتطورة، وبالتالي فإن الوجود العسكري الروسي في

¹ - التدخل العسكري في سوريا وأبعاده السياسية، موقع أورو نيوز، 2017/03/02، الاطلاع: 2017/03/15

<http://arabic.euronews.com/2015/09/23/assat.is.mcsow.s.pawn-in-regional-power-stakes/>

سوريا يبعث بإشارة قوية إلى بغداد بأنّ روسيا قد عادت مرة أخرى إلى الشرق الأوسط وعلى استعداد لبناء تحالفات جديدة¹.

من ناحية أخرى، فإن التدخل الروسي في سوريا يعزز تقارب بين مصر وروسيا حول العديد من القضايا الدولية والإقليمية سياسياً وأمنياً، خصوصاً بعد اختلاف وجهات النظر المصرية-الأمريكية حول العديد من القضايا، وقد اتضح ذلك من خلال زيارة السيسي لروسيا عدة مرات، بجانب صفقات التسليح والمشروع النووي، لكن نجد أنّ هناك محاولات عديدة لإفشال هذه التقاربات وقد اتضح ذلك عقب حادث الطائرة الروسية في مدينة شرم الشيخ بمصر.

فقد قامت الولايات المتحدة بالتعاون مع دول غربية قبل التدخل العسكري الروسي في إنشاء منظمة أمنية شمال سوريا، وعلى الرغم من التجهيزات والتدريبات الأمريكية، إلا أنّها فشلت فشلاً ذريعاً، وقد جاء التحرك الروسي لإرسال إشارة إلى الولايات المتحدة أنّ سوريا تعتبر منطقة فضاء استراتيجي خاصة بها².

وتستهدف روسيا من تدخلها في سوريا إلى إيجاد دور لها في التسويات المتعلقة، بالأقليات في سوريا والعراق، خاصة الأكراد الذين يعملون على تحقيق حلمهم في إعلان دولة مستقلة عن العراق وسوريا وهو ما يتعارض والمصالح التركية³.

كما أنّ للدبلوماسيين السابقين الذين عاشوا وعملوا في البلدان العربية، دور أساسي من خلال تخوفهم من فكرة الديمقراطية التي تذكرهم بديموقراطية يلتسن، وما حولته في روسيا من قطب مهيمن إلى دولة تابعة للغرب، حيث يرون في سوريا ساحة لتزال جيوسياسي تخوض فيها روسيا وعلى طريقتها حرباً لاسترجاع الهيمنة المفقودة، والتي تلقى فيها هذه السياسة، دعماً من المتقاعدين ذوي الميول الوطنية من مؤسسة الأمن الروسية (الكي جي بي

¹ - مي غيث، التدخل الروسي في سوريا الابعاد والسيناريوهات، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 25/نوفمبر/2015، ص2.

² - مي غيث، مرجع سابق، ص2-3.

³ - نفس المرجع، ص3.

والاستخبارات الخارجية)، ومن وزارة الخارجية الروسية لمدة عملهم الطويل في سوريا، والدفاع عن الأسد اليوم بالنسبة إليهم جزء من حربهم الشخصية الكبيرة مع الغرب وأمريكا وغورباتشوف، يلتسين وكل من كان له يد في إسقاط الاتحاد السوفياتي¹. فالأزمة السورية هي معادلة أمنية تضمن التوازن الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من جهة ومع الاتحاد الروسي وحلفائه الجدد من جهة أخرى². وبعد عدم اكتراث الإدارة الأمريكية بالملف السوري، باستثناء الحرب ضد الإرهاب، تعتقد موسكو بأنّ هذا التدخل سيصد طموحات بعض الدول الإقليمية (كالسعودية وقطر وتركيا) وسيجبر الفاعل الإيراني على صياغة سياسته وفق قواعد التعاون والبناء المشترك، كما ترى روسيا بأنّ هذا التدخل سيحفز بعض الدول الداعمة للثورة المضادة بالاصطفاف خلف الدب الروسي ويهيئ الفرصة لبلورة محور إقليمي بقيادة موسكو³

المطلب الثاني: الدوافع الاقتصادية

تعتبر المصالح الاقتصادية في سوريا من أهم الدوافع المفسرة للدعم الروسي للنظام السوري والتي يعود تاريخها إلى فترة الاتحاد السوفياتي، تركز هذه المصالح في المقام الأول على التبادلات التجارية واستثمارات الشركات الروسية، والتعاون في قطاع الطاقة⁴. حيث تعتبر العلاقات التجارية بين روسيا وسوريا إلى حد ما متطورة بالرغم من أنّها بدأت تنمو بصورة مطردة منذ سنة 2003 فقط، وتميل بشكل كبير إلى الصادرات الروسية، التي تركز بشكل أساسي على المنتجات النفطية والآلات، وفي فترة الأخيرة تطورت العلاقات التجارية بين البلدين بصورة سريعة، حيث بلغ مستوى التبادل التجاري بينهما سنة 2010م إلى 2 مليار

¹ - منذر بدر حلوم، ركائز الموقف الروسي من الثورة السورية، في مؤلف جماعي بعنوان: خلفيات الثورة دراسات سورية، المركز العربية للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2013، ص 540-541.

² - التدخل العسكري المباشر في سوريا، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 17 أكتوبر 2015، ص 2.

³ - التدخل العسكري المباشر في سوريا، مرجع سابق، ص 02.

⁴ - نجاة مدوخ، مرجع سابق، ص 158.

دولار، في حين وصل حجم التبادل التجاري الروسي السوري سنة 2011م إلى 1.92 مليار دولار¹.

إن المصالح الاقتصادية لروسيا في سوريا تمتد إلى أبعد من المجال العسكري بقيمة اجمالية تبلغ حوالي 20 مليار دولار، فقد قامت الشركات الروسية باستثمارات واسعة في التنقيب عن النفط والغاز والإنتاج في سوريا، فحاليا تقوم كل من شركتي Tatneft و Soiazneft gaz باستخراج النفط في سوريا، حيث تقوم Soiazneft gaz ببناء مصنع قرب الرقة الذي من شأنه معالجة 1.3 مليار متر مكعب من الغاز. وتشارك الشركات الروسية في مشاريع الطاقة النووية في سوريا، بما في ذلك الخطط التي أعلنتها Rosatan في عام 2010م لبناء أول محطة للطاقة النووية في سوريا².

فمنذ عقود تستأثر الحكومة السورية بالقسم الأكبر من اتفاقية التبادل التجاري مع روسيا، حسب وجهة نظر روسيا فإن تغيير النظام سيؤدي إلى خسارة هذه الأخيرة لاستثماراتها، لذا فإنّ بعض التقارير تشير إلى أنّ الشركات الروسية تتحرك للاستفادة من تعليق أنشطة الشركات الأجنبية من قبل الحكومة السورية، ونذكر هنا على سبيل المثال في مارس 2012م، أعلنت شركة غاز بروم الروسية أنّها ستتولى مهام الشركة الكرواتية للنفط والغاز في سوريا، باختصار تمثل الأزمة السورية فرصة وتهديد في نفس الوقت للمصالح الاقتصادية الروسية، ومع ذلك لا توجد بيانات تؤكد على وجود تبادلات تجارية بين روسيا وسوريا مخصصة لدعم النظام السوري، فالدافع الأساسي لدعم النظام السوري هو رغبة روسيا في الحفاظ على مجالات التعاون القائمة وتطوير مجالات جديدة إن أمكن³.

إن سعي روسيا إلى التمسك بمكانتها كعملاق في حقل الطاقة من أهم المصالح البارزة في الأزمة السورية، فهي تسعى إلى منع المنافسين الكبار من مزاحمتها اقتصاديا واستراتيجيا وتعتقد أنّه مع تناقص عدد سكانها، واضمحلال دورها وانتقالها من قوة عالمية إلى قوة

¹ - نفس المرجع، ص 158-159.

² - عبد الرزاق بوزيدي، ص 134.

³ - نجا مدوخ، مرجع سابق، ص 159.

إقليمية، فإنّ قطاع الطاقة قد يحقق لها مكانة لم تتمكن من تحقيقها عبر القوة العسكرية والمنافسة مع الغرب¹.

يمثل التنافس الدولي والإقليمي على خطوط نقل الغاز والنفط من الدول المطلة على الخليج العربي أحد المحددات المهمة لتدخل الروسي، فهي تخشى أن يؤدي سقوط النظام السوري إلى زعزعة مكانتها المهيمنة على سوق الغاز الأوروبية، لاحتمال مد الغاز القطري عبر السعودية وسوريا مروراً بتركيا وصولاً إلى أوروبا، وهذا ما من شأنه أن يحرم الكرملين ورقة رابحة استراتيجية واقتصادياً².

فكل هذه التحركات مع الحلف الجديد لروسيا، المعروف بالهلال (الشيوعي) النفطي سوف تؤمن لروسيا مكانة استراتيجية في عالم الطاقة وخاصة بعد الاكتشافات الأخيرة في حوض المتوسط بواسطة لثروة هائلة وكبيرة، إيران وحلفائها الذين باتوا يمتدنون من إيران إلى بحر القزوين، والعراق والنظام السوري وحزب الله في لبنان المسيطر على الدولة، بالإضافة إلى الغاز القبرصي الحليف الأرثوذكسي لروسيا، وإسرائيل ستكون بحاجة لروسيا في مدّ المجال لكي تلعب دوراً ريادياً من خلال الغطاء الروسي بالإضافة إلى وجود أكرثية يهودية من أصول روسية في هذه الدولة تسعى روسيا لكسبهم، رأت روسيا من خلال ذلك بأنها حامية الجميع في منطقة ملتهبة، لكن الحصار الاقتصادي على روسيا وهبوط أسعار النفط العالمي منع تطوير هذا المخطط مما جعل توجهات روسيا تختلف تدريجياً بدخولها في الحرب السورية المباشرة بواسطة قواتها العسكرية³.

المطلب الثالث: الدوافع العسكرية والاستراتيجية

¹ - احمد سعيد نوفل و اخرون ،التداعيات الجيو استراتيجية للثورات العربية، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2014، ص 317-318.

² - نفس المرجع، ص318.

³ - خالد ممدوح العزي، الاستراتيجية الروسية الجديدة، وعلاقتها مع الجوار العربي، المركز الديمقراطي العربي، تاريخ الدخول: 2017/02/26

قاد ضعف نظام الأسد في مواجهة المعارضة السورية واصبحت احتمالات الانهيار المفاجئ غير مستبعدة وتراكمت سلسلة الهزائم المتتالية في جبهات مختلفة، لم يعد باستطاعة إعلام النظام تبريرها لقاعدته الشعبية مما استوجب تدخلا روسيا، من أجل تحفيز الموالين للنظام بعد انهيار معنوياتهم من جهة¹.

من جهة أخرى وضعت روسيا هدفين أساسيين بشكل مبدئي لتدخلها العسكري المباشر²، تمثل في منع التحالف الأمريكي من القيام بأي خطوات من شأنها تحديد "مناطق محررة" وفرض حظر جوي عليها، ومن ثم منع المعارضة السورية المسلحة من التكتل في تلك المناطق وشن هجمات برية تحت غطاء جوي لقوات التحالف، سواء عن طريق العمل المباشر بواسطة تركيا والسعودية وقطر، أو بشكل غير مباشر من جانب فرنسا التي أعلى رئيسها عن ضرورة تقديم الدعم لما أسماه بالمناطق المحررة.

وكذا رغبة الكرملين في دعم النظام "الشرعي" في مكافحة الإرهاب، والدفع في الوقت نفسه إلى لقاءات أو اتفاقات ولو أولية بين مختلف القوى السورية، بما فيها النظام السياسي لتسوية سياسية، وهو الأمر الذي يسمح لروسيا بالحفاظ على مصالحها، على عكس ما حدث لها في العراق وليبيا.

ويأتي الهدف الأول هو ما تم الإعلان عنه بعد ستة أيام من بدأ القصف الروسي في سوريا على لسان نائب وزير الخارجية الروسي، مبعوث الرئيس الروسي إلى الشرق الأوسط وإفريقيا، ميخائيل بوغدانوف، حيث أكد أن بلاده ترفض إقامة منطقة حظر جوي في سوريا، بناء على اقتراح تركيا، معللا ذلك بضرورة احترام سيادة الدولة³.

¹ - عماد بوظو، أبعاد التدخل العسكري الروسي في سوريا، موقع أورنت نت، 16/09/2015. الاطلاع: 26/2/2017

<http://goo.gl/goig110>

² - هشام جابر، روسيا في سوريا... الأهداف والقدرات والنتائج، موقع الجزيرة نت، 10 أكتوبر 2015 تاريخ الاطلاع: 26/2/2017

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/10/8>

³ - شريف شعبان مبروك، "روسيا في المنطقة العربية: طموح استراتيجي ومصالح جيوسياسية"، مجلة الشؤون العربية، تصدر عن الأمانة العامة للجامعة العربية، مصر، العدد 169، 2015، ص2.

كما يأتي التوسع العسكري الروسي في سوريا في جزء منه، رداً على تعيين تنظيم داعش "أبا محمد القدري" واليا على القوقاز، وهو ما يشكل تهديداً مباشراً للمصالح القومية الروسية في آسيا الوسطى والقوقاز التي تضم سبعة كيانات فيدرالية لهذا التمدد، حيث تشغل منطقة شمال القوقاز، التي تضم سبعة كيانات فيدرالية خاضعة للسيادة الروسية (الشيشان، داغستان، أنجوشيا، قبردينو-بلقاريا، أوسيتيا الشمالية، قراتشان، تشيركيسيا، ستافروبول، كراي)، أهمية قصوى في التفكير الاستراتيجي الروسي، باحتياطاتها الطاقوية المهمة، وبموقعها الجغرافي المتميز بين البحر الأسود غرباً وبحر القزوين شرقاً، مما يخول لها التحكم في طرق المواصلات والتجارة بين أوروبا وآسيا¹.

يندرج توسيع الوجود العسكري الروسي في سوريا ضمن باب "التغيير التكتيكي"، إذ تبقى الاستراتيجية الروسية ثابتة في أهدافها مع تغير في آلياتها وميكانيزماتها، وفقاً للمتغيرات الإقليمية والدولية، أي أنّ التغيير يكون على المستويات التكتيكية للتأقلم، ومواكبة التطورات في إطار العقيدة العسكرية، حيث تعد حماية المصالح القومية الروسية واستعادة مكانة روسيا كقوة عظمى أهم أهداف الاستراتيجية الروسية الكبرى، هذا وقد أدرجت روسيا وثيقتها الاستراتيجية المحدثة للأمن القومي في ديسمبر 2014 محاربة التطرف والإرهاب ضمن المحددات الخارجية للسياسة الروسية، مما يعكس أهمية الموقف الروسي من محاربة داعش وابعاده على العمق الاستراتيجي الروسي، ومناطق النفوذ، ومناطق التماس².

كما يعتبر ميناء طرطوس السوري القاعدة البحرية الوحيدة خارج روسيا، حيث تؤكد الحكومة الروسية على الأهمية الاستراتيجية لهذا الميناء، فأهميته الخاصة تجعل منه موقعا دفاعيا يمكن لروسيا من خلاله أن تحقق أهدافا سياسية.

إنّ الاستخدام المستمر لميناء طرطوس من قبل روسيا يعطي لمحة عن مصالحها الحقيقية وقدراتها على التأثير في الأحداث السورية، ويمكن تصنيف طرطوس على أنها تؤمن

¹ - سامي السلامي، التدخل الروسي في سوريا وجهاديو القوقاز... أبعاد متداخلة، موقع مجلة السياسة الدولية: 2015/10/15 تاريخ الاطلاع: 2017/2/26

<http://www.siyassa.erg.eg/newsQ/6545.aspx>

² - نفس المرجع.

خدمات كاملة فيما يتعلق بمينائها التجاري والذي يمكن من تحميل وتفريغ البضائع التجارية بكل أنواعها، أيضا المواد السائلة مثل البترول¹. فالميناء هو محور التعاون البحري الثنائي الروسي-السوري، كما يشارك في إعادة بناء النفوذ الروسي في البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط، وأخيرا هو جزء من منطق شامل وعلى المدى الطويل لإعادة استثمار البحر العالمي من قبل البحرية الروسية².

إنّ نقطة الدعم البحري في طرطوس تساهم بشكل مهم في بناء النفوذ الروسي لاسيما أنّ حضورها البحري في البحر المتوسط سوف يزداد بحلول عام 2020، مع تكثيف للرحلات البحرية من أجل محاربة القرصنة، فقد تم وضعه ضمن رؤية صناعية في برنامج التسليح للفترة الواقعة بين 2011 و2020³.

المبحث الثالث: تداعيات التدخل الروسي في سوريا

¹ - صلاح نيوف، الشراكة العسكرية الاستراتيجية الروسية-سورية "قاعدة طرطوس"، مرجع سابق.

² - نفس المرجع.

³ - حسام الدجني، "سر الموقف الروسي من الأزمة السورية"، جريدة القدس، العدد 7042، 6 فيفري 2012، ص 17.

لم يمر التدخل العسكري الروسي في سوريا من دون أن يترك أثره في الأوضاع والأحداث التي تدور في سوريا وخارجها، حيث أن هذا التدخل قلب الموازين في المنطقة وأوقف موجة ما يعرف بالربيع العربي

المطلب الأول: تداعيات على سوريا وروسيا

-تداعيات التدخل على روسيا:

إنّ المكسب الرئيسي الذي حققته روسيا هو تعزيز مكانتها الدولية وعلاقتها بالأطراف الفاعلة مثل الولايات المتحدة وأوروبا على وجه التحديد، أثبتت روسيا من خلال فقلها لموازين القوى على الأرض، أنها الوحيدة القادرة على إعادة الحياة للنظام من خلال تدخلها العسكري، وأنها الوحيدة القادرة على عقلنة أجدته المتطرفة والضغط عليه للدخول في مفاوضات جدية بعيدة عن تصريحات المسؤولين السوريين التي سبقت المفاوضات بإجراء انتخابات برلمانية فقط واستثناء الرئاسة منها¹. لقد جرّ الروس الأمريكيان إلى تفاهات ثنائية ذات علاقة بسوريا وغيرها من الملفات بعد رفضهم الحديث مع روسيا مباشرة منذ أزمة أوكرانيا، من جهة أخرى نجحت روسيا في توظيف أزمة اللاجئين السوريين للضغط على الاتحاد الأوروبي الذي كان يتفكك من جرائها سيما بعد إعلان بريطانيا الخروج من الاتحاد.

بالتدخل العسكري في سوريا وازنة روسيا في علاقاته مع دول المنطقة وبالتحديد مع المملكة العربية السعودية التي وصلت معها في اتفاق الدوحة إلى تجميد إنتاج النفط وفق معدلات شهر جانفي 2016 إلى جانب قطر وفنزويلا، لتجنب إغراق السوق بتخمة المعروض وهو ما انعكس إيجابا على أسعار النفط التي ارتفعت بنسبة 40% من أدنى مستوى لها عند حدود 27 دولار إلى حد 40 دولار للبرميل الواحد².

¹ - إبراهيم فريجات، ماذا حقق التدخل الروسي في سوريا؟ مركز الجزيرة للدراسات، 2016/03/28 الاطلاع: 2017/03/27

http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/3/28سوريا-في-التدخل-الروسي-ماذا-حقق-التدخل-الروسي-في-سوريا/

² - همام عبد الله السليم، التدخل الروسي في سوريا: الأهداف النتائج وأسباب الانسحاب، المركز الديمقراطي العربي 2017/03/21

http://democraticac.de/?p=30332

كما أكد نائب رئيس مجلس الأمن القومي الروسي يفغيني لوكيانوف أنه من أجل نجاح التسوية بعد العملية العسكرية في سوريا فلا بد من مشاركة فعالة للمملكة العربية السعودية، في إشارة منه إلى دور المملكة العربية في عملية بناء السلام، وكذا دورها المحوري في المنطقة.

وهناك مكاسب حققها روسيا من عملياتها العسكرية في روسيا مثل تعزيز موقعها على البحر المتوسط من خلال نشر صواريخ S-400 المتطورة، وكذلك ما صرح به لوكيانوف بأن العملية العسكرية أتاحت خبرة حقيقية للقوات الروسية. لم تكن لتحصل عليها من خلال التدريبات العسكرية¹. كما تمكنت أيضا روسيا من تأكيد وجودها في المنطقة، من خلال قواعد عسكرية دائمة للانطلاق منها لحماية مصالحها وهو ما تجسد باحتفاظها بوجود عسكري في قاعدة حميميم وميناء طرطوس، ومن جهة أخرى عرض العسكريون الروس قدرتهم على إعلان وتنفيذ العمليات العسكرية خارج حدود بلادهم وأن موسكو تستطيع تغيير الأوضاع في سوريا بغض النظر عن توجهات المجتمع الدولي².

ويرى البعض بأن الانسحاب الغير كلي من سوريا بداية لتخلي روسيا عن بشار الأسد، وما يؤكد ذلك أن تاريخ روسيا يسجل غالبا تخليها عن حلفائها مثل صدام حسين ومعمر القذافي وآخرون مقابل مصالحها القومية العليا وأهدافها الاستراتيجية. ومن هنا يتضح أن روسيا تدخلت في سوريا لتحقيق أهدافها وحماية مصالحها وليس لحماية بشار الأسد، وهي لن تسمح لأحد بالوقوف في وجه مصالحها أو إعاقتها حتى وإن كان الأسد ذاته أو إيران³.

-التداعيات على سوريا:

بعد الهزائم التي عانى منها نظام الأسد وقروب زواله، تدخل الروس وبشكل مباشر بعد أن عجز النظام، وحلفائه من إيران وحزب الله اللبناني على الصمود في وجه المعارضة. الأمر الذي يؤثر على الوضع العسكري في سوريا، حيث تتعاون القوات القتالية الروسية مع قوات

¹ - إبراهيم فريجات، مرجع سابق.

² - همام عبد الله السليم، مرجع سابق.

³ - نفس المرجع.

النظام السوري، معززة بذلك القوة النارية والدعم الجوي والفاعلية القتالية لصالح النظام، كما تضمنت المهمة الروسية توفير التدريبات والأدوار الاستشارية، حيث ساهمت في تعزيز المهارات العسكرية للوحدات السورية.

لقد أعطت القوات الروسية النظام السوري ميزة حاسمة في ميادين القتال التي تعمل فيها قواته، متيحة للنظام السوري السيطرة على مراكز حيوية وبسط نفوذه عليها واستنزاف الموارد العسكرية والبشرية استنزافاً مضاعفاً. كما ساهم تواجد روسيا على أرض المعركة في رفع معنويات قوات النظام بصورة ملحوظة، بعد جملة الخسائر التي تكبدها¹.

لقد أدى التدخل العسكري الروسي على مواقع المعارضة السورية على جميع الجبهات في التسبب بصدمة ومفاجأة لفصائل المعارضة، لكن هذه الصدمة زالت بعد أسابيع، وطوّرت الثوار طرائقهم في التخفي والتمويل والسلوكات القتالية من أجل تخفيف من فاعلية هذا القصف عليهم. كما رأت من جهة أخرى المعارضة السنية في سوريا في الدعم العسكري المباشر الذي تقدمه القوات الروسية والإيرانية إلى قوات النظام السوري اعتداءً متمادياً عليها، ودفع هذا الشعور إلى الدعوة للجهاد لمقاتلة الاحتلالين الروسي والإيراني للأراضي².

المطلب الثاني: التداعيات على المستوى الإقليمي

- على السعودية: لقد انتقدت السعودية التحرك الروسي في سوريا واعتبرته، في ضوء تعاونه مع إيران ومساهمته نصرة النظام السوري الواقع تحت هيمنة طهران، تحد لها، فجددت رفضها لبقاء النظام وألححت إلى إخراجها من السلطة بالطرق العسكرية. إن لم يرحل بالطرق السياسية، وفق ما قاله وزير خارجيتها في خطاب أمم الجمعية العامة للأمم المتحدة. كما حركت ألتها الإعلامية للحشد ضده حيث دعت الصحافة السعودية والخليجية، إلى تنسيق مواقفها والوقوف مع المعارضة السورية ومدّها بالسلح والمال، ووصف بيان لعلماء الدين السعوديين (32 عالماً) ما حصل بتحالف روسي صفوي نصيري، وحرب حقيقية على أهل

¹ - جيفري وايت، روسيا في سوريا (الجزء 2): التداعيات العسكرية، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 15 سبتمبر 2015، ص2.

² - نزار عبد القادر، الارتدادات الإستراتيجية للتدخل الروسي - الإيراني في سوريا، جريدة الديار، 23 أكتوبر 2015م، الاطلاع 2017/04/14.

الارتدادات-الاستراتيجية-للتدخل-الروسي-الإيراني-في-سوريا-1057132/article/1057132

السنة وبلادهم وهويتهم، لا تستثني منهم أحداً، والمجاهدون في الشام اليوم يدافعون عن الأمة جميعاً، فثقوا بهم ومدو لهم يد العون المعنوي والمادي، فإنهم إن هزموا فالدور على باقي بلاد السنة واحدة إثر الأخرى¹.

لقد واجهت الحكومة السعودية ضغطاً كبيراً من العلماء للتدخل، حيث تركت هذه الضغوطات العائلة الحاكمة السعودية أمام معضلة، لأنها دعت مراراً للإطاحة بالأسد ودعمت الجماعات المسلحة، لكنها تخشى أن تؤدي دعوة العلماء لإشعال حماس الشباب السعودي الذين سافر الآلاف منهم للقتال في سوريا في وقت تواجه فيه المملكة تهديد تنظيم الدولة الإسلامية، كما يشير تقرير لعدم قدرة السعودية على الرد بسبب تورطها في الحرب ضد المتمردين الحوثيين في اليمن، فلن تستطيع عمل أكثر من توفير المال والسلاح². كما ترى السعودية أنّ تشكيل جبهة سنية ضد الروس وحلفائهم الشيعة في سوريا لن تنجح وقد تؤثر على التحالف المصري -الخليجي- فقد عبرت مصر عن دعمها لما تقوم به روسيا من قتال ضد التطرف الإسلامي في سوريا³.

- على تركيا: لم تكن أنقرة مريحتنا بالتدخل العسكري الروسي في سوريا، وذلك لأنه يفرض على أنقرة جملة من التحديات، والتي تسعى أنقرة لتحقيقها وتعتبرها بمثابة آليات لتسهيل الحل للنزاع في سوريا، كما نوه الرئيس التركي إلى إمكانيات خسارة الصداقة الروسية التركية قوتها وذلك في أعقاب التحرشات الروسية للطائرات التركية على الحدود، وكذا اختراق الحدود من طرف الطائرات المقاتلة الروسية⁴.

¹ - علي عبد الله، سوريا، احتدام الصراع، جريدة المدن الإلكترونية، بيروت، 2015/10/06، تاريخ الاطلاع: 2016/03/23

سوريا-احتدام-الصراع/2015/10/06/opinions/2015/10/06/2016/03/23

² - إبراهيم درويش، "موسكو حققت إنجازات تكتيكية ضد المعارضة"، جريدة القدس، العدد 8250، 2015/10/9، ص5.

³ - نفس المرجع، ص5.

⁴ - باسم دباغ، روسيا تركيا الأطلسي: هل تعيد سوريا زمن من الحرب الباردة؟، تاريخ الاطلاع: 2016/03/23.

روسيا-تركيا-الأطلسي-هل-تعيد-سوريا-زمن-الحرب/2015/10/6/politics/2015/10/6/2016/03/23

ويرى البعض من المحللين أنّ تلك التحركات للمجال الجوي التركي من طرف روسيا، هدفه أساسا يتمثل في إيصال رسالة إلى الأطلسي بجدية الروس في تدخلهم في سوريا.¹

كما رأت تركيا في التدخل محاولة لمنع إقامة منطقة أمنية عازلة، لتمكين المعارضة من تنظيم صفوفها وكذا فرض حظر جوي لحمايتهم من نظام الأسد، ولعل نوعية الأسلحة والمعدات تفسر هذا الأمر، فنشر نظام الدفاع الصاروخي SA-82 هدفه يتجاوز محاربة داعش كما ترى أنقرة، وإنما له علاقة بمنع إقامة منطقة أمنية عازلة، وهو يعني أيضا بأنّ من يريد المشاركة في إقامة هذه المنطقة في هذا التوقيت عليه أن يضمن موافقة موسكو عليها.²

إنّ التدخل الروسي أضاف أعباء كبيرة على الحكومة التركية، نتيجة لتدفق أعداد هائلة من اللاجئين والتي تؤثر على الحياة اليومية في تركيا، بفعل طول أمد الأزمة السورية. وأهم من هذا كله هو الملف الكردي الذي رأت فيه تركيا أنه في حال شكل الطيران الروسي غطاء للأكراد في حربهم مع داعش، من شأنه دعم وجودهم وتقويتهم على الأرض ويقرّبهم أيضا من حلم الدولة الكردية في الشمال السوري على الحدود مع تركيا، وهو ما يضع تركيا أمام خيارات متعددة للتعامل مع ما يجري على الأرض في سورية نتيجة التردد الأمريكي.³

يمكن القول أنّ التدخل العسكري الروسي في سوريا قد أحبط حسابات تركية، حيث قلص من نسبة نجاح المعارضة السورية في تحقيق الانتصارات الميدانية التي يمكن أن تضعف النظام وتسقطه، الأمر الذي أدى بتركيا إلى القبول بالأمر الواقع والتنسيق مع روسيا في حربها على تنظيم الدولة، كما أصبح على تركيا تشكيل تحالفات سواء إقليمية أو من خلال منظمة حلف الأطلسي، لتعزيز مطالبها في إنشاء مناطق عازلة.⁴

- على إيران: لقد أيدت إيران وحليفها حزب الله وبشكل مطلق، التدخل العسكري الروسي، ويرى البعض بأنّ إيران هي من أقنعت روسيا بضرورة التدخل في سوريا، حيث كانت إيران

¹ - فتحة فرقاني، تداعيات التدخل العسكري الروسي في سوريا على تركيا، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 14 نوفمبر 2015، ص

2.

² - فتحة فرقاني، مرجع سابق، ص 3.

³ - التدخل العسكري الروسي في الأزمة السورية، مركز برك للأبحاث والدراسات، ص 7.

⁴ - فتحة فرقاني، مرجع سابق، ص 6.

تأمل القيام بهذه الخطوة، لكنها أدركت أن مثل هذه الحركة سوف تُجابه دوليا بالرفض، وكانت روسيا هي الوحيدة القادرة على القيام بهذا العمل لوزن الذي تتمتع به دوليا، ربما كانت النية الإيرانية هي تحويل الصراع السوري إلى صراع إقليمي دولي لا تتصدر واجهته¹. حيث رأت إيران بأن لا نجاة للنظام الأسد ما دام محسوباً على حلفها المذهبي، ولإنقاذه لا بد من أن تختفي عن الأنظار قليلاً مفسحتاً المجال للروس لتصدر المشهد، من خلال تأييدها المطلق للتدخل العسكري الروسي في سوريا، لكنها وبالمقابل غير غافلة عن كون النقاط التي سيسجلها الروس هناك هي على حسابها²، مما قد يهشم المصالح الإيرانية في سوريا لحساب روسيا. في حين ذهب البعض للحديث عن خشية إيران من أن لا يكون الحل النهائي في سوريا متوافقاً مع ما ترسمه، خصوصاً بعد التدخل الروسي المباشر في سوريا³. غير أن التدخل الروسي خفف الضغط العسكري عليها دافعاً طهران لتقوية جبهاتها بالعراق، وبقي تركيز إيران منصبا على الحدود اللبنانية ومناطق القلمون الشرقي بالإضافة إلى غرب دمشق وذلك لحماية نفوذها في لبنان المتمثل في حزب الله وطرق امداده وحمايته⁴.

- على إسرائيل: لقد اضطرت إسرائيل لإعادة النظر في عمليات القصف الجوي على المناطق التي تنتشر فيها القوات الروسية، وقد تمكن بالتالي إيران من تزويد نظام الأسد الذي تعتبره عدواً لها وحزب الله بترسانة أكثر تطوراً، وقد أفادت بعض التقارير أن إسرائيل نجحت في استهداف شحنات الأسلحة المتوجهة إلى منطقة اللاذقية، إلا أن اتخاذ تلك الخطوة اليوم في ظل انتشار القوات الروسية قد يكون خطيراً⁵.

كما جاء على لسان وزير الحرب موشيه يعاون ورئيس الأركان ايزنكوت "بوجوب منع وصول السلاح الجديد والمتطور لحزب الله، وإجهاض تنفيذ عمليات ضد إسرائيل، وبذل الجهود من أجل عدم إلحاق الضرر بالطائفة الدرزية في سوريا" على حد زعمه، ويذكر ميلمان

¹ - التدخل العسكري الروسي في الأزمة السورية، مرجع سابق، ص 06.

² - شريف شعبان مبروك، مرجع سابق، ص 222.

³ - التدخل العسكري الروسي في الأزمة السورية، مرجع سابق، ص 06.

⁴ - التدخل العسكري المباشر في سوريا، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 17 أكتوبر 2015، ص

⁵ - جيفري وايت، مرجع سابق، ص 2.

أنّ "السلح الجوالسرائلي كان يتحرك كلما توافرت معلومات استخبارية ومن دون الحاجة إلى التنسيق مع أي جهة، لكن من الآن فصاعدا ستضطر إسرائيل إلى تنسيق خطواتها مع روسيا". ولكن الجانب الإيجابي الذي تراه إسرائيل في التدخل الروسي أنّ لكل من روسيا وإسرائيل أهدافا مشتركة في منطقة كوبياني فإسرائيل تريد المحافظة على مناطق الأكراد المتعاطفين معها وإبقائها تحت سيطرة القوى الكردية نفسها، وبالتالي فمحاربة روسيا لتنظيم الدولة يمنع نشوب معارك بين الأطراف هناك¹.

فقد أظهر إسرائيل تنسيقا عسكريا مع روسيا بعدم التعرض لطائرة روسية حربية حلقت في الأجواء الاسرائيلية - كما صرح وزير الدفاع موشي يعلون، كتب المحلل الإسرائيلي عاموس هارثيل بصحيفة "مارتس" العربية عن الحضور الروسي: "منذ انتقال العملاق - يقصد العملاق الروسي - للسكن في بيت الجيران صارت إسرائيل تتحرك في المحيط بحذر شديد" وهذا يعني إعادة تقييم الموقف بحيث تخرج مستفيدة من المستجدات، وفق حسابات دقيقة².

المطلب الثالث: التداعيات على المستوى الدولي

- على الولايات المتحدة الأمريكية: لقد شنت روسيا غاراتها كما أعلن رئيسها فلاديمير بوتين بناء على طلب من السلطة الشرعية الوحيدة في سوريا بقيادة الرئيس بشار الأسد الذي يحظى بدعمها وتأييدها... وهي تفعل ذلك حتى لا يأتي الإرهاب إلى بلادها على حدّ زعمها... أما أمريكا وحلفاؤها التي وجهت أولى ضرباتها ضد داعش، فقامت بغاراتها دون طلب أو موافقة دمشق، ودون أخطار أو تنسيق مع القيادة السورية، لذلك لم يكن غريبا أن تعبر واشنطن عن امتعاضها من تحركات الغريم الروسي، وأن تعرب لحلفائها في الناتو عن شعورها بالقلق إزاء اتساع نشاطه العسكري لدعم الأسد، مؤكدة على أنّ الضربات الروسية لن تغيّر شيئا في مهمات قوات التحالف³.

¹ - احسان مرتضى، "إسرائيل واشكاليات التدخل الروسي"، مجلة الجيش، قيادة الجيش اللبناني مديرية التوجيه، العدد 366، كانون الأول 2015، ص 106.

² - هشام النجار، سوريا والتحول الكبير: مشكلات الوطن ومستقبل العرب، سما للنشر والتوزيع، ص 132-133.

³ - مسعود حناوي، "سوريا ومقدمات الحرب العالمية"، جريدة الأهرام اليوم، مصر، العدد 47055، 6/10/2015م، ص 07.

وأكد مسؤول أمريكي لـ CNN "أنّ روسيا لا تستهدف تنظيم داعش في سوريا، وأنّ الغارة الجوية قرب حمص ليس لها أي هدف استراتيجي في محاربة داعش، مما يؤكد أنّهم ليسوا هناك لملاحقة داعش"¹.

رأت الولايات المتحدة أن التدخل الروسي سيؤدي إلى إطالة وتمديد الصراع في سوريا، وأنّ الحل يجب أن يكون عبر عملية انتقال سياسي حقيقي، وصرحت الإدارة الأمريكية بأنّ الدور الروسي سيؤدي إلى نشوب حرب باردة جديدة، وأنّ الطائرات الروسية قصفت مواقع للقوات الذين درّبهم الولايات المتحدة وأرسلتهم إلى سوريا لإسقاط النظام مما يعد اعترافاً أمريكياً بأنّ من تسميهم الثوار ليسوا إلا عملاء قامت بتدريبهم. فمعضلة الولايات المتحدة أنّ التدخل الروسي ألقى الضوء على المخطط الأمريكي وفضحه، فالولايات المتحدة لا تريد شركاء خارج نطاق حلفائها، يمكن أن يسهموا في إعادة تشكيل لمنطقة الشرق الأوسط.²

حيث كان يرى مسؤول في CIA أنّ المستقبل الأفضل هو سوريا موحدة، تجمع المعتدلين والعناصر المتبقية من النظام بعد الإطاحة بالأسد وهو الخيار الذي عطله الروس بتدخلهم.³ وأمام لجنة الاستماع حول الشؤون العسكرية والسياسية في مجلس الشيوخ الأمريكي في أكتوبر 2015، أجمع الشهود من الخبراء على أنّ روسيا بدخولها المعركة في سوريا أصبحت تمثل خطراً متزايداً على الولايات المتحدة الأمريكية ونفوذها ومصالحها، ووصف ما يحدث بالخطر، وأنّ روسيا لم تفعلها وتقاتل خارج مناطق نفوذها حتى إبان الحرب الباردة، والحقيقة أنّ الخسائر الأمريكية أكبر من ذلك، فقد وقعت كل من السعودية ومصر والكويت عقود عسكرية مع روسيا، بعد أن أظهرت واشنطن عدم اهتمام بها، بل وعقدت واشنطن تحالفات معادية لدول الخليج، مثل اتفاق البرنامج النووي الإيراني.⁴

لقد وضعت موسكو مجموعة من الخبراء الروس في دمشق، ومن أجل مواجهة التهديد الأمريكي بضرب النظام السوري، سارعت موسكو بالتدخل واتجهت عدد من القطع البحرية

¹ - عمارياسرحمو، مرجع سابق، ص 31.

² - محمد السيد سليم، "لماذا تعارض أمريكا الدور الروسي في سوريا"، جريدة الأهرام اليومي، مصر، العدد 47064، 2015/10/15، ص 06.

³ - إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص 5.

⁴ - شريف شعبان مبروك، مرجع سابق، ص 219.

الروسية إلى ميناء طرطوس، الأمر الذي جعل توجيه ضربة ضد سوريا بمثابة مواجهة مع روسيا¹. هذه العوامل دفعت باراك أوباما ومستشاريه كي يقترحوا على بوتين اتفاقا للحل في سوريا، يتركها بموجبه أن تستقر في الشرق الأوسط، وأن يتقاسم معها السيطرة على هذه المنطقة بعد الاعتراف الضمني لإدارة أوباما بفشلها في إسقاط الأسد².

- على أوروبا: في أول ردة فعل لها رحبت المستشار الألمانية ميركل بالتدخل الروسي مؤكدة بأنه: "لن يكون من الممكن إنهاء الحرب الأهلية في سورية إلا بمساعدة روسيا".

وأكدت في كلمة في شرق ألمانيا في ذكرى توحيد ألمانيا: "إننا نعرف جميعا منذ أعوام أنه يمكن أن يكون هناك حل فقط في وجود روسيا وليس دون وجودها"، وفي زيارة لطهران أكد وزير الخارجية النمساوي سيباستيان كورتس قائلا: "في رأي أن الأولوية لقتال الإرهاب، ولا يمكن أن يتحقق ذلك دون إشراك قوى مثل روسيا"³.

ويبرز الخوف الأوروبي من أزمة اللاجئين التي تؤرق الأوروبيين وتبعاته التي تحمل في طياتها هاجس الإرهاب الذي تفاقمت خطورته خصوصا مع ازدياد موجة اللاجئين، حيث سارعت أوروبا في توقيع اتفاقيات مع تركيا التي تعتبر بوابة السوريين الى أوروبا قصد التخفيف من تدفقها خصوصا مع تزايد حدة الاشتباكات والقصف الروسي المتزايد، وفي هذا السياق أكد القادة الأوروبيون على أنّ روسيا ليست خصما ولا تشكل أي تهديد لهم بالعكس فقد رأوا في التدخل الروسي معركة لهم ولكن بأيادي روسية بوجه الإرهاب الذي بات يهددهم، إنّ تصريحات القادة الأوروبيين ليست مجرد تصريحات ودية، بل هي تعبيرات حقيقية على مدى رغبة أوروبا في إيجاد شريك جديد لها ومناسب بدل بريطانيا التي تخلت عنهم، ومن خلال

¹ - نورهان الشيخ، "الدور الروسي في الأزمة السورية"، مجلة آراء حول الخليج، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، العدد 98، أوت 2015، ص55.

² - رياض عيد، 'التسوية الأمريكية للحرب في سوريا وحالات الذروة'، مجلة تحولات، بيروت، العدد 77، أيار 2013، ص 5.

³ - بشير زين العابدين، التدخل الروسي في سورية: المخاطر والفرص الكامنة، عمران للدراسات الاستراتيجية، ص2.

التدخل الروسي في سوريا أكدّت لهم روسيا أنّها أنسب شريك للأوروبيين في هذه المرحلة المتأزمة من التاريخ الأوروبي¹.

¹ - مصطفى عبد العزيز مرسي، "التدخل العسكري الروسي المكثف في سوريا: الدوافع والتداعيات والنتائج"، مجلة الشؤون العربية، تصدر على الأمانة العامة للجامعة العربية، مصر، العدد 164، ص 96_97.